إشارات تدل العبيد على عظمة الحميد ذي العرش المجيد

سبحان من أحاط علمه بالكائنات، واطّلع على النيات، وعلم بنهايات الأمور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، علم ما في الضمير، ولا يغيب عنه الفتيل والقطمير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

يبدئ ويعيد، وينشئ ويبيد، وهو فعّال لما يريد، لم يخلق الخلق سدى، ولم يتخذ المضلين عضداً، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

دخلَ موسى وهارون على رأس الطغيان، فهابا السلطان والصولجان، وخافا في ساعة الامتحان، فنادى رب الورى قوي العرى ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

هرب موسى من فرعون، فاصطدم بالبحر، وضاق الأمر، فصاح بنو إسرائيل: إنا لمدركون فقال: ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

لما التجأ الرسول مع الصديق إلى الغار وأحاط به الكفار، وفوض الأمر إلى الواحد القهار، قال الصديق: كيف لو رأونا هنا؟!

قال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

شكت خولة بنت ثعلبة للرسول ﷺ أمرها، وأخبرته سرها، وعائشة رضى الله عنها في طرف البيت لم تسمع همساً، ولم تعلم حساً، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

اجتمعت عائشة وحفصة وتفاوضتا في شأن الرسول ﷺ وأخبرت إحداهما الأخرى بسره، وكشفت شيئاً من أمره، فأنزل علاّم الغيوب: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾.

أصاب الناس على عهده ﷺ قحطٌ شديد، فدخل أحدهم والرسول ﷺ على المنبر يوم الجمعة، فشكى إليه الحال، وضياع المال، وجوع العيال، فدعا الرسول ﷺ ذا الجلال، وناداه وسأله واستجداه، والسماء صحو لا غيم فيها، فثار السحاب في لحظة، ونزل الغيث في طرفة عين، وإذا الأرض عين معين ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

أجدبت الديار، وجفت الآبار، وبعد العهد بالأمطار، وذبلت الأزهار، ويبست الأشجار، فرفعت نملة يديها ورجليها إلى باريها وخالقها وهاديها ومطعمها ومسقيها، فدعت وألحت، فأنزل الله الغيث المغيث، والوبل المكيث.

سبحان الله! عرفه الهدهد بأسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته، فأذعن له بالوحدانية واعترف له بالعبودية، وغضب على قوم كفروا به ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾.

سبحان الله! إذا وضعت في الأرض بذرة أو حبة لا تنبت حتى تهتز الأرض بقدرة قادرة، هزّة خفية فتفقس البذرة وتنبت ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾.

سبحان الله! انطلقت نجوم من مواقعها من آلاف السنين بسرعة الضوء ولم يسقط بعضها إلى اليوم من طول المدى وتباعد المسافة، واتساع الكون، وعظمة القدرة ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾.

سبحان الله! الدودة في الطين يرزقها رب العالمين، والحوت في الماء يغذيه رب الأرض والسماء، والحشرة على الأوراق يطعمها الرزّاق ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

سبحان الله يُسيِّر الريح الزمهرير، ويجري الرياح لها صرير، يثير الغمام، ويقلّب الأيام، ويجري السَّحاب ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

سبحان الله! أهلك القرى لما أعرضت عن دينه، والسماوات مطويات بيمينه، ينقذ من على الهلاك أشفى، ويعلم السر وأخفى.

لمّا تمرّد فرعون وبغى، قال لموسى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾. قال فرعون: أنا بالألوهية أولى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾.

أنشأ الشعوب وأفناها، وأحيا الأمم وأعلاها، لما أباد الدول والملوك الأول، جعل هلاكهم للباقين رمزاً ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

حـــــارت الأفكار في قـــــدرة من

قـــد هدانا ســـبلنا عـــز وجل

كـــــتب الموت على الكل فكم

فلَّ من جـــــيش وأفنى من دول

مؤمّن الخائف، وناصر المظلوم، وعضد الملهوف، ونصير المضطهد، ومطعم الجائع، ومكسي العاري، ومبكي الطاغي.. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾. يولي ويعزل، ويملك ويخلع ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

خلق السماء وقال عنها: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾، وخلق الأرض وقال: ﴿ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾.

وعن الشمس يقول: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾.

وعن القمر يقول: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾.

وقال عن الماء: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾.

وقال عن الرياح: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾.

وقال عن الليل: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾.

وقال عن النهار: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾.

قال عنه الخليل، لما حاور الملك الضليل: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾.

وقال عنه الكليم لما حاج الطاغية اللئيم: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾.

مدح نفسه قبل أن يمدحه المادحون، وأثنى على جلاله قبل أن يُثني عليه المثنون، ووصف عظمته قبل أن يصفه الواصفون، قال عن نفسه: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ﴾، وقال: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾.

وقال: ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾.

الجبال المنيفة، والشواهق المخيفة، أخبر عن خلقها فقال: ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾، وأخبر عن إبادتها وانتهائها، فقال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾.

فسبحانه من عظيم! جعل هذا الجرم الهائل من الصخور والرمال يطير في الهواء شذراً، ويتفتت في السماء مذراً ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وجوب تقديره سبحانه حق قدره وتوقيره ومعرفة حقِّه على خلقه

ما لكم لا تملؤون القلوب بمحبته، والنفوس بعظمته، والأرواح بهيبته، ما لكم أيها الناس كأنكم سكارى ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

وقع يونس في ظلمات ثلاث: ظلمة ليل هائج، وبحر مائج، وحوت ساذج، فمن ينادي؟! ومن يسأل؟! وإلى من يلتجئ؟! وعلى من يشتكي؟! لا أهل ولا قرابة! ولا ولد! ولا زوجة! فذكر ملك الملوك، ومجيب المضطر، وكاشف السوء، ومزيل الغم، ومفرج الكرب، وهتف: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. فاستجاب له الله، ونجّاه، واجتباه، فلا إله إلا الله تهب الريح العاصف؛ والموج القاصف على السفينة، فتضطرب ويصيح أهلها وينادون مولاهم، ويستغيثون بإلاههم، ويعاهدونه على الإخلاص ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

يُذنب العبد، ويرتكب الخطايا، ويفعل السيئات، ويعاقر الذنوب، ويقترف الفواحش، ثم يأوي إلى كنف ربه ويرجوه، ويستغفره ويدعوه، فيتوب عليه وينجيه، ويرحمه ويتجاوز عنه ويجتبيه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

أخذَ بالنواصي، اطّلع على الضمائر، ملك الرقاب، قهر الجبابرة، كسر بجبروته الأكاسرة، قصَّر بعظمته القياصرة، تفرّد بالبقاء، تنّزه عن النقص، وتقدَّس عن الند، وجل عن الشبيه. البعيد في إحاطته قريب، والقوي في عزته ضعيف، والغيب في علمه شهادة، والسر في اطلاعه علانية، ينقض العزائم،

وينكث الهمم، ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾.

وما قدروا الله حق قدره، وقد رفع سبع سماوات طباقاً، وأحكم صنعها حتى صارت شداداً، وأتقنها؛ فلا ترى فيها فروجاً، وزينها بمصابيح من النجوم والكواكب، وهي مرفوعة بلا عمد، والله يمسكها أن تقع على الأرض، يُملي للظالم، ويقبل التائب، ويزيد المحسن، فالظالم إن أخذه لم يفلته، والتائب إن قبله محى حوبته، والمحسن إن أعطاه فبلا حساب، فأخذه عدل، وتجاوزه عفو، وعطاؤه فضل.

ما أصبره على الأذى!! يخلقهم، ويرزقهم؛ ويسبونه، ويشتمونه، يقول سبحانه: «**يسبني ابن آم وما ينبغي له ذلك، ويشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك**» ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾.

خلق خلقه، ثم رزقهم ثم هداهم، ثم اجتباهم واصطفاهم، ثم ذكرهم بأسمائهم في نفسه وفي الملأ الأعلى، قال ﷺ لأبي بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك**» قال: وسمّاني في الملأ الأعلى باسمي، قال: «**نعم**» فبكى أبيّ.

واختار من خلقه قوماً فكتب الإيمان في قلوبهم وأيدهم بروح منه، وأعانهم على الجهاد في سبيله، وحبب إليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم، ثم أحبهم. يقول ﷺ في خيبر: «**لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه**» فأعطاها الله عليّاً.

ووفَّق قوماً للإسلام وزادهم هدىً وآتاهم تقواهم، وشرح صدورهم للإسلام، وأنار قلوبهم بالإيمان، ورفع رؤوسهم بالدين، ثم منحهم الشهادة في سبيله، ثم اهتز عرشه لموت أحدهم، وهو العبد الصالح المجاهد سعد بن معاذ رضي الله عنه.

صوَّر الروح في البدن، وأسرى الحياة في الجسم، وأنطق اللسان بالحجة، وألهم القلب الهدى، ثم قبض هذه النفس بعد أن شوَّقَها للقائه، فكلّم صاحبها؛ بلا ترجمان، وقرَّب حاملها. قال ﷺ لجابر بن عبدالله: «**إن الله كلم أباك بلا ترجمان فقال: تمنَّ**».

كاد الرسول ﷺ أن يقتله الكفار، وأن يغتاله الفجّار، فحماه بـ ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾، فاوضه المشركون وحاولوا مهادنته، ورغبوا في تنازله، فحماه بـ ﴿**وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً**﴾ حارب الشيطان أولياء الرحمن، وقعد لهم كل مرصد، وأتاهم من كل طريق، وتصور لهم في كل مكان، فأتى اللطف من اللطيف ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾.

كادت أسرتان من الأنصار أن تترك معركة أحد وتستسلم للفشل، ولكن الله سلم وهو وليهما.

ضاع يوسف عليه السلام من أبيه عليهما السلام، فقال: ﴿**يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ فضاع الثاني فقال: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾. فأتى الفرج من اللطيف الخبير فرد عليه بصره، وأعاد إليه ابنيه، وجمع شمله.

أخذ سبحانه أهل أيوب، فشكى عليه الحال فاستجاب له الرحمن الرحيم فوهب ﴿**لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ**﴾.

اعتصم اليهود في حصونهم، فأنزلهم من صياصيهم، وقذف في قلوبهم الرعب.

التجأ قارون إلى داره، فخسف به وبداره الأرض.

هرب أعداؤه إلى ملاجئهم ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾.

نثر الرسول ﷺ حفنة تراب على جيش المشركين فما بقيت عين إلاَّ دخلها التراب، والسر: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ أخرج يوسف ـ عليه السلام ـ من السجن، وأعطاه الملك بعد الرِّق، والعز بعد الذل، وعلّمه مما يشاء، وجاء بوالديه من البدو، وجمع بينه وبين إخوته.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ هرب موسى عليه السلام من فرعون بعدما قتل نفساً، فأرسله إليه، وأدخله قصره، ووعظه وأنذره، ثم هرب منه مرة أخرى، فلحقه بجيش عرمرم فنجّى موسى عليه السلام، وأغرق فرعون وجنوده.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ نشَّأ رسوله ﷺ في يتم، ليأوي إلى كنفه، وفي فقر ليطلب ما عنده، شكا إلى خديجة حاله، فماتت بعد زمن قليل، ونصره عمه أبو طالب، فهلك، انتصر في بدر فقتل أصحابه في أحد، حاز الغنائم فنزل ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أحب عائشة، فرميت في عرضها فبرأها الله وتعلق بابنه إبراهيم، فقبضت روحه سبقت ناقته أسرع الإبل فسبقها أعرابي على قعود له، أشرق جبينه فشج في أحد، وتلألأت أسنانه فكسرت رباعيته.

ألهم سبحانه النحلة أكلها ومسكنها، وذهابها وإيابها، وعرَّف النملة جيش سليمان عليه السلام فحذّرت وأنذرت، وسلَّط البعوضة على النمرود، فنفذت إلى دماغه فمات، وأجرى كيفية بعث الأموات على حمار لمن شك في القدرة، وعلَّم الهدهد توحيده، فأنكر على بلقيس وقومها شركهم، وتحدّى أعداءه بخلق

ذباب أو إرجاع ما سلبه منهم ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

في كل شيء له آية، أنبت حدائق ذات بهجة، وفضّل بعضها على بعض في الأُكُل، وباين بين أذواقها وألوانها وأشكالها، وطولها وقصرها.

الماء واحد والتربة واحدة والثمرة حلوة، أو حامضة، والزهرة حمراء وبيضاء وصفراء وخضراء ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

العقول تحتار في معرفة أسرار أفعاله وفي إدراك مقاصد قدرته

حارت الأفكار في عجائب قدرته، واضطربت الأفهام من جلال عظمته، وذهلت الأذهان من بديع حكمته، ابتلى أولياءه بأعدائه، وامتحن محبيه بمحاربيه. أعطى قارون حتى ناءت العصبة بمفاتيح كنوزه، وأفقر موسى عليه السلام حتى أكل ورق الشجر، وصب المال على أمية بن خلف حتى عاش في الديباج والحرير، وجوَّع رسوله ﷺ، حتى ربط الحجر على بطنه هدى بلالاً رضى الله عنه وهو عبدٌ حبشي، وأضل أبا لهب وهو سيد قرشي.

أغوى فرعون وهدى زوجته، واجتبى لوطاً -عليه السلام- وأغوى زوجته، واصطفى إبراهيم -عليه السلام- وأشقى أباه، واجتبى نوحاً -عليه السلام- وغضب على ابنه: ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ يرسل البرق حتى يخطف الأبصار، يجري السيل حتى يقتلع الأشجار، وينشئ الرعد حتى يجلجل في الخافقين، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء، وينزل الغيث على من يشاء، ويصرفه عمن يشاء.

يعطي عدوه من الدنيا حتى لا يدري أين يضع المال، ويبتلي وليه بالفقر حتى ينطرح على الرمال ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ** ﴾، شفع نوح عليه السلام لابنه فقال له: ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾. واستغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه فنهاه، وتوعد رسولُه ﷺ المشركين فقال:﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ وقَبِلَ عذر المنافقين فقال له: ﴿ **لم أذنت لهم** ﴾ وصلى على عبدالله بن أبيّ فقال: ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا** ﴾ وأراد أن يستغفر للمنافقين فقال: ﴿ **إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾.

وشُغِلَ ﷺ عن أعمى فنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾، حرص كل الحرص على إسلام عمه فجاء: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾. وأراد أن يفاوض المشركين فأتى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾. وهمَّ أن يتألف المشركين بطرد المساكين من المسلمين فنزل ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ نهاه الله أن ينظر إلى أموال الكفار: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، ونهاه أن يتلفت إلى ثروات المنافقين فجاءه: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾.

جاء بالتوحيد الخالص وقال له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

أرسل عيسى عليه السلام ليوحد ربَّه فسأله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

ذهب موسى عليه السلام ليكلم ربَّه فعبد بنو إسرائيل العجل بعده، وفر يونس عليه السلام من قومه فوقع في بطن الحوت، وخرج أبو جهل ليقتل الرسول ﷺ فطُرح جيفة في القليب.

يُجري الماء في بقاع حتى تفيض على الجبال، ويسلط القحط على بقاع حتى تعصر فيها الرمال، ويُقَدر البرد على جهات حتى تصبح الأرض من الزمهرير جليداً، ويقدر الحر على جهات حتى تقذف الأرض منه لهباً شديداً.

اقرأ القدرة في الشمس الساطعة، والنجوم اللامعة، تجدها في الخمائل والجداول، في الحقول والسنابل، في الساقية والغدير، في الماء النمير، في الضياء والسناء، في الهواء والظلماء، في الورقة واليرقة.

أول كلمة إلى المعصوم اقرأ، والكون كتاب ، والكائنات حروف، والقدرة أقلام، والقارئ أمي، وعنوان الدرس: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.

سبحان من دلَّ على نفسه بنفسه، سأل الصحابة رضوان الله عليهم عنه: أقريب فيناجى، أم بعيدٌ فينادى، فنزل: ﴿قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

أطعم، وأسقى، وأهدى، وأسدى، وكفى، وآوى، وقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

ابتلى، وامتحن، وأفقر، وأمرض، وأجاع، وأظمأ، وقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾.

التعريف: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾.

الوصف: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

والعلو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾.

والشأن: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

خطط أعداؤه ودبّروا، وأعدوا فقال: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾.

تشاوروا واحتالوا وتهيئوا فقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾.

نهجوا في الكيد، وألحوا في الدهاء، وأصروا على المراوغة، فقال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾. تعجبوا من المؤمنين، وضحكوا من الصالحين، وسخروا فأنزل: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾. فتلوا حبال الفتنة، ونسّقوا خيوط المحنة، ونسجوا برد الوقيعة، فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾. لمزوا وغمزوا واستهزأوا، فقال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

الملك الحق يدل العباد بحكمته وتمام قدرته على عظيم ربوبيته وتمام ألوهيته

﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾. أدخل امرأة النار في هرة، وأحبط عمل عابد بكلمة، وأهلك أمَّة في ناقة، وأمر بقطع يد السارقة في ربع دينار، وغفر لقاتل مئة نفس، وعرض التوبة على أهل التثليث فقال: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ ﴾. وأدخل الشهيد وقاتله في الجنة.

فَرَجُه قريب ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾، ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾، ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ يهوي السيف إلي العنق، فيأتي الله بالفرج، تتقطع النفس أسفاً، ويمتلئ الصدر كرباً، فيأتي الله بالفرج، تَغْزُر الدموع في المحاجر، وتبلغ القلوب الحناجر، فيأتي الله بالفَرَج، يعترض الطفل في بطن الحامل، وتعضل الدجاجة بالبيضة، وتكترب الناقة العشراء، فيأتي الله بالفرج، تتلوَّى البطون من الجوع، وتضرم الأكباد من الظمأ، ووتتلمّظ النفوس من الألم، فيأتي الله بالفرج، يكاد الموج يقلب السفينة، وتكاد الريح تنسف البيوت، ويكاد البرق يخطف الأبصار، ثم يأتي الله بالفرج.

يشكو الدائن غَلَبَة دينه، والغريب وحشة غربته، والمُصاب صدمة مصيبته، ثم يأتي الله بالفرج.

«**دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب**»، وأنّات التائبين تصعد إليه فيقول: ﴿ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ يرحم ويعذب، ويرضى ويغضب، ويحب ويسخط، ويضحك ويعجب،

ويكره وينتقم، ويرى ويسمع، ويحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويولي ويخلع، ويبتلي ويعافي، ويهدي ويضلّ، ويقبض ويبسط، ويعطي ويمنع.

لا يشغله شأن عن شأن، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يمسه لغوب، يطعِم ولا يُطعم، لا تختلف عليه اللغات، ولا تزدحم عنده اللهجات، وهو الذي تصمد إليه الكائنات، بالجمال متفرد، وبالكمال متصف، لا شريك له، ولا نديد، ولا كفوا، ولا ضديد.

وُضِعَ الخليل إبراهيم في المنجنيق فقال له جبريل: ألك إليَّ حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم. فلما أرسل إلى النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

ولما قال المرجفون للرسولﷺ وللصحابة في أحد: إن المشركين قد جمعوا لكم. قالوا: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾.

دعاه نوح عليه السلام لينجيه فأركبه في السفينة، لأن هلاك قومه عن طريق الغرق.

وقال فرعون: هذه الأنهار تجري من تحتي، فأجرى الله البحار من فوقه. تَبجَّح قوم فرعون بالسِّحر، فأعطى الله موسى عليه السلام العصا، فإذا هي تلقف ما يأفكون.

وفاق قوم عيسى عليه السلام في الطب، فأبرأ الأكمه والأبرص، وأحيا الموتى بإذن الواحد الأحد.

مزَّق كسرى خطاب الرسولﷺ فقال المعصوم: «**اللهم مزّق ملكه**» فعدى عليه ابنه فذبحه على فراشه.

سبحان من قال لأوليائه في جنته: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾، وقال لأعدائه في ناره: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره، يمينه ملأى سحّاء الليل والنهار، لم يغض ما أنفقه مما في يمينه من يوم خلق السموات والأرض، له مقاليد السموات والأرض، نواصي العباد بيده، وملك الملوك في قبضته، جعل من الشجر الأخضر ناراً، وأوجد من الأحجار جواهرا، وأسال من رؤوس الجبال أنهارا، تفجرت من خشيته الأحجار بالأنهار، وتشققت من مهابته الصخور بالعيون الغزار، وهبطت من عظمته الجلاميد إلى قاع البحار، تجلّى للجبل فانْهَار دكاً، وخر موسى عليه السلام صعقاً، أطّت السماء من ازدحام الملائكة المسبحين بحمده، فسبحان الواحد القهّار.

«يضع الجبار قدمه في النار فتقول قط قط»

(يطوي السموات بيمينه، والأراضين بشماله، ثم يقول لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فيجيب نفسه بنفسه: لله الواحد القهّار أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)».

من اعتز به عز، بلا عيال، واغتنى بلا مال، وانتصر بلا أعوان. خلق الخلق، بلا حاجة إليهم، لم يتَقوَّ بهم من ضعف، ولم يغن بهم من فقر، ولم يعتز بهم من ذلَّة. هو الغني وهم الفقراء، وهو القوي وهم الضعفاء، كتب لنفسه البقاء، وكتب عليهم الفناء، لا تنفعه طاعة الخليقة، ولا تضره معصيتهم، يقول: **«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رَجُلٍ واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً»**.

«يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً».

لا تنفد خزائنه، ولا تنتهي كنوزه، ولا يوصف جوده، ولا تستهلك كثرة الحاجات ما عنده، يقول: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»، ذلك لأنه واجد ماجد غني كريم، أمر الخلق أن يسألوه، وأوجب عليهم أن يدعوه، لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا عيب أن يستره، ولا عطاء أن يسديه، ولا خير أن يجريه.

يكافئ على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بها فلم يعملها كتب له بها حسنة كاملة، ويجازي على السيئة بمثلها إلا أن يعفو، ومن هم بها ولم يعملها كتب له بها حسنة، ويُوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، من تصدق من كسب طيب قبلها منه سبحانه بيمينه، ورباها له كما يربي العبد فلوه، حتى تصبح كجبل أحد.

جاء أعرابي بناقة مخطومة، قال: خذها يا رسول الله في سبيل الله. فقال له: «**لك عند الله يوم القيامة سبعمئة ناقة مخطومة**».

جهز عثمان ـ رضي الله عنه جيش تبوك فقال له: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**».

هو جميل سبحانه يفعل الجميل، ويحب الجميل، ويكافئ على الجميل، يقول ﷺ لأهل بدر: «**إن الله اطّلع عليكم فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» داوم أحد الصحابة على قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الصلاة، فقال ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**».

ولما تفنن أبو بكر -رضي الله عنه- في فعل الخيرات، ونوع في كسب الحسنات، كان الجزاء عند ربه أن يدعوه من أبواب الجنة الثمانية وقال له: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾.

جعل أرواح شهداء أحد في حواصل طير خضر ترد الجنة، فتشرب من أنهارها، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

أوصافهُ الجميلة وأفعاله الجليلة تدعو الخليقة لعبوديته وتنادي البريَّة لطاعته

لما اكتسى إبراهيم الخليل عليه السلام بلباس التوحيد؛ كان أول من يكسى يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ولما خَرَّ موسى عليه السلام صعقاً من خشيته؛ كان أول من يفيق إذا صعق الناس يوم الحشر.

استتر عمر بلباس التقوى فرآه ﷺ يجرُ قميصه في المنام، ولما تفقه الفاروق في ميراث النبوة أعطاه ﷺ فضل اللبن في الرؤيا، كل ذلك من كرم المولى، وحسن مكافأته، وجميل عائدته، وسعة جوده، وعظيم بره، وتميز لطفه، وعلو قدره، وعموم خيره، كلما قَرُبت من أحد أمنته إلا الله، فكلما تعرفت على أسمائه وصفاته وأفعاله خفته، وكلما تعلمت كلامه وأيامه هبته، وكلما أمعنت في آياته ومخلوقاته خشيته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

حقق إبراهيم عليه السلام التوحيد ثم خاف وقال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

يقول للأنبياء يوم القيامة: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ فلخوف المشهد يقولون: ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ كل نبي يقول من شدة الهول نفسي نفسي إلا صاحب الشفاعة ﷺ.

ولما قُرئ عليه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾. ذرفت عيناه ﷺ.

من خشيته سبحانه تكاد السموات يتفطرن من فوقهن، يقول جل اسمه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ الله﴾. وقال عن

عظم فرية من نسب إليه الولد: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾.

شكره على النعم نعمة أخرى، وسؤاله من فضله مرتبة عظمى، كلما سُئل رضي، ومن لا يسأله يغضب عليه، يستحيي أن يرد السائل صفرا، لا شيء أكرم عليه من الدعاء، أمر به ووعد بالإجابة، عطاؤه إحسان، ومنعه لطف، واختياره للعبد خير من اختيار العبد لنفسه، كل قضائه رحمة، وكل آثاره جميلة، شكر نعمته عباده، والاستغفار من معصيته قُربة، والصبر على أحكامه طاعة، يأخذ الأسماع والأبصار، ويقلب الليل والنهار، ويطبع على القلوب ويقطع الدابر، ويحق الحق، ويبطل الباطل، ويمحو ما يشاء ويثبت، ويبني ويحكم وينسخ.

ليس لسنته تبديل، وليس لعادته تحويل، لا يُغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، من شكره زاده، ومن توكل عليه كفاه، ومن اتّقاه جعل له مخرجاً.

يبسط الرزق، ويضاعف القرض، ويسمع من يشاء، ويبعث من في القبور، ويحي الأرض بعد موتها، ما فرط في الكتاب من شيء، ولا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه ذرة، ولا يعجزه مطلب، من يشأ يُضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم، دعوته عامة إلى دار السلام، وهدايته خاصة لمن أناب إليه، يهدي السبيل، ويكفر السيئات، ويتقبل الحسن، ويجبر الكسر، ويصلح الفاسد، ويستر الخلل.

يأخذ بالبأساء والضرَّاء، يبتلي بالشدة والرخاء، يغير النعمة والنقمة، يقدر العطية والبلية، يفتح أبواب كل شيء، لأن عنده مفاتيح الغيب، يعلم كل مكنون، ويحيط بكل حاضر وغائب.

يفصِّل الآيات، يقيم الحجة، يوضح المحجة، يرسل الرسل، وينزل الملائكة، يصطفي من الملائكة ومن الناس رسلاً، يميز الخبيث من الطيب.

بره عظيم، أخذه أليم، يأتي عذابه بغتة أوجهرة، يأخذ القرى بياتاً أو نهاراً، يرسل المرسلين مبشرين ومنذرين، ينزل الكتاب بالحق والميزان، أنزل الحديد فيه بأس شديد، ينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة، يقص أحسن القصص، يقسم المعيشة، يرفع بعض الناس على بعض وهو على كل شيء قدير، خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، والظل والحرور، والموت والحياة، ليس من دونه ولي ولا شفيع، وليس له صاحبة ولا ولد، ولا مثيل ولا شبيه، ولا ند ولا وكيل، فتن بعضهم ببعض، وسلط بعضهم على بعض، وفضل بعضهم على بعض، كتب على نفسه الرحمة، وكتب على أعدائه الدائرة، ووعد أولياءه الجنة.

إن الحكم إلا لله، وما الصبر إلا بالله، وما التوكل إلا على الله، وما الحب إلا في الله، وما الهداية إلا من الله.

يقص الحق وهو خير الفاصلين، ويبدع الخلق وهو أحسن الخالقين، ويعدل في الحكم وهو أحكم الحاكمين، ويلطف بالخلق وهو أرحم الراحمين،الله خير حافظاً وأعظم سنداً، وأكبر ولياً، وأعز نصيراً﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾.

هو أعلم بالظالمين، وهو من وراء الكائدين، وهو ملك يوم الدين.

يتوفى الأنفس بالليل، ويعلم ما جرحت بالنهار، منه المبدأ وإليه المعاد، عليه التوكل وإليه الإنابة، يُرد إليه علم الساعة، وترجع إليه الخليقة، ويقصده البشر.

هو القاهر فوق عباده، المهيمن على خلقه، المستوي على عرشه، القاهر لأعدائه، الناصر لأوليائه.

ما يفتح من رحمةٍ فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، من يهدي فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، من يكرم فلا مهين له، ومن يهن فلا مكرم له.

لبيه حقاً حقاً، ولا إله إلا هو صدقاً صدقاً، وتبارك ما أعظمه خلقاً ورزقاً.

هو الولي الحق، ورب الخلق، وصاحب الأمر، بيده الملك، وإليه المآب، وإليه المشتكى، وبه المستغاث، وعليه التكلان.

هو أسرع الحاسبين، وأكرم المعطين، وإله الأولين والآخرين.

ينجي من ظلمات البر والبحر، ويلطف من شدة البرد والحر، ويُنادى إذا اشتد الأمر، لأنه رفيع القدر، قوي القهر، منه النفع والضر.

يُدعى تضرعاً وخفية، ويُذكر تمسكناً وخيفة، وينادى سراً وجهراً، ويطلب ليلاً ونهاراً.

قادر على بعث العذاب من فوق الرؤوس، ومن تحت الأرجل، إذا شاء خسف ومسخ، وكبت وأذل وأهان، وختم وطبع، وأعمى وأصم، وأخزى وأفقر، لا إله إلا هو، يُلبس من شاء شيعاً، ويمزق من شاء كل ممزق، ويدمر من أراد تدميراً، وينسف الجبال نسفاً، ويسجر البحار تسجيراً، ويكور الشمس تكويراً، ويكدر النجوم تكديراً، يشق السماء، ويبدل الأرض غير الأرض، ويبعث من في القبور، ويحصل ما في الصدور، ويعطل العشار، ويحشر الوجود، ويزوج النفوس﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾.

يُنجي من كل كرب، ويفرج من كل هم، ويكشف كل سوء، يجيب المضطر، وينجد المستغيث، وينقذ الملهوف، وهداه هو الهدى، لا أحسن منه صبغة، ولا أصدق منه قيلاً، ولا حديثاً، ولا أحكم منه حكماً، ولا أهدى منه سبيلاً.

إليه عاقبة الأمور، وإليه يُرد علم الساعة، ومنه يُطلب الخير كله، قوله الحق، وكلامه الصدق، وفعله المتقن، وصنعه الأحسن، وأمره النافذ، وقضاؤه المبرم، وحكمه العدل، ولقاؤه الفصل.

له الملك، وله الحمد، وله الثناء الحسن، في السماء ملكه، وفي الأرض سلطانه، وفي الجنة رحمته، وفي النار سطوته، وفي البحر عظمته وفي الكائنات حكمته.

حكيم خبير، علي كبير، بارئ مصور، جبار متكبر، ملك قدوس، مهيمن قوي، عزيز حكيم، غفور رحيم، علي عظيم، ملك كريم.

الكائنات علامات على قدرة رب الأرض والسموات

فطر السموات والأرض، وفلق الحب والنوى، وأخرج الحي من الميت، والميت من الحي، وفلق الإصباح، وجعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً، أنشأ الخليقة من نفس واحدة، وبدأ خلق الإنسان من طين، وركبه من نطفة وأبدع الكون بكلمة ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾.

جعل الشمس سراجاً، والقمر نوراً، والنجوم هداية، والليل لباساً، والنهار معاشاً، والسماء سقفاً محفوظاً، والأرض قراراً، والجبال أوتاداً، والماء حياة، جعل البحر أمواجاً، وأنزل من المعصرات ماءً ثجاجاً، وأنشأ الخليقة قروناً وأفواجاً. ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾.

أنزل من السماء ماءً، وأخرج من الأرض نباتاً، وجعل منه حباً متراكباً، وأنشأ زيتوناً ونخلاً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأباً، وعنباً وقضباً. ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾.

كسى العظام لحماً، واللحم جلوداً، وألبس البهائم صوفاً ووبراً، حمى العيون بالحواجب، والآذان بالصماخ، وخلق الإنسان في أحسن تقويم. جعل له عينين، ولساناً وشفتين، وهداه النجدين. ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ ﴿٧﴾ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾.

خلق الماء حياةً، وأهلك به قوم نوح عليه السلام، وأوجد النار منفعة، وأحرق بها أعداءه، وكوَّنَ البحر رزقاً، وأغرق فيه فرعون وجنوده، وأرسل الرياح لواقح، ودمر بها عاداً. ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾.

يحب المدح جل في علاه، ويستحق الثناء لا نعبد إلا إياه، من مدحه فإنما زكّى نفسه، وشرف ذاته، أكرم مكانته، ومن أثنى عليه فإنما اعترف بالجميل، وأقر بالإحسان، وقام بأقل الواجب.

تبّاً لمن مدح البشر وغفل عن مدح مولاه، وسحقاً لمن أثنى على الناس وترك الثناء على خالقه.

الاعتراف بألوهيته احترام للعقل، وموافقة للفطرة، واتساق مع الناموس، واتباع للمنهج، وإكرام للمصير، وإنقاذ للروح، وإسعاد للمثوى، وتصديق للنقل، واتباع للمعصوم.

لو كانت الأشجار أقلاماً، والبحار مداداً، والسموات ألواحاً، والخلائق يُملون الثناء، ويكتبون المديح، لكانوا فيما يستحقه مقصرين وفيما يجب له منقطعين، وبالعجز عن القيام بشكره معترفين. ذلك بأن كل نعمة جلت أو دقت، كبرت أو صغرت، ظهرت أو خفيت، فهي منه سبحانه لا إله إلا هو.

ترنيمات التسبيح بحمده تيجان على رؤوس المسبحين، وزجل التهليل أوسمة خلود على جباه الموحدين.

أثنى على نفسه؛ فإذا مدح الشعراء في غيره زيف.

ومدح ذاته؛ فإذا مقامات الإطراء في سواه هراء.

أين إلياذات التبجيل، حتى تُنظم في علاه؟! أين ملاحم التقديس حتى تسطر في حمده؟! أين الخطب الغراء، والقصائد العصماء لتلقى في بساط وحدانيته؟!.

أف لمن كتب ولم يجعل رضاه مطلباً، وتباً لمن أنشد ولم يجعل شكره مقصداً.

يا حسرة على العيون إذا لم تدمع من خشيته، وعلى القلوب إذا لم توجل من عظمته.

يحار العقل في خلق الإنسان كيف خلقه وسواه وعدله؟! في أي صورة ما شاء ركبه؟! أسمعه وبصره؟! وأنطقه وعلمه؟! أحياه وأماته؟! أنامه وأيقظه؟! عافاه وأمرضه؟! أشبعه وأجاعه؟! أسقاه وأظماه؟! أغناه وأفقره؟! هداه وأضله، أسعده وأشقاه؟! أفرحه وأحزنه؟! أعطاه ومنعه؟! لا إله إلا هو.

عَالَم النبات: آية من الآيات، نجم وباسق، حلو وحامض، صنوان وغير صنوان، أحمر وأخضر، أبيض وأسود، لين وقاسٍ، أجرد وشائك، طويل وقصير، مثمر وغير مثمر، حار وبارد ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾.

عالَم الحيوان: دليل على عظمة الرحمن، منها من يمشي على بطنه، وعلى رجلين، وعلى أربع، طائر وزاحف، أليف ومتوحش، مسالم ومحارب، بحري وبري، ذو خف وظفر، وذو ريش وجناح، وذو وبر وصوف ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾.

حكم الزمان والمكان، خلق الإنسان والحيوان، داول الليالي والأيام، غاير بين القرون والأعوام، سقى بكأس الموت أرباب النعيم، أذاق طعم الهلاك الهرم والفطيم، أشاب النواصي، أخذ الراتعين في المعاصي.

كم من مترفٍ في عهد ربيع، وفي أمن وديع، طرقه بالدمار في الأسحار، وزلزله بالنقمة في بغتة.

ملأ الدور حبوراً، والصدور سروراً، ثم ملأ أجفانها عبرات، وأذاقها ويلات.

أعطى الحدائق زخرفها، والبساتين زينتها، ثم جعلها هشيماً تذروه الرياح.

أخرج المرعى، ثم جعله غثاءً أحوى، هو الأسمى والأعلى والأقوى.

الله: القوة القاهرة، والقدرة النافذة، والحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

حقِّق توحيده، وأخلِص عبادته، أقِم شرعه، تدَبَّر أسماءه وصفاته، اقرأ قدرته في مخلوقاته، انظر حكمته في آياته.

هل عرفته بآلائه؟ هل ذكرته بأوصافه وأسمائه؟ هل شكرته على نعمائه؟ هل حمدته على حسن بلائه؟.

الله: يهيج الموج على أهل السفينة فينادون: يا الله. يضل الأعرابي في الصحراء ويهتف: يا الله. تدور دائرة الحرب فيردد المجاهدون: يا الله. يتململ المريض على فراشه، فيصرخ: يا الله. يصيب الناس الجدب المهلك والقحط المتلف، فيستغيثون: يا الله.

ناداه أولياؤه في بدر فأنزل النصر، ودعوه في أحد: يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، فأنزل المدد وأخزى من كفر وألحد.

دعوا في الأحزاب فأنزل الملائكة كالسحاب، واقتلع بالريح خيام المشركين والقباب.

أشار محمد بن واسع بسبابته يوم كابل فنصر المسلمين، وفتح على الموحدين، وأعز الدين، فكانت سبابته بقدرة مولاه أبلى من جيش.

ضاقت بسارية السبل فنادى عمرُ ـ رضي الله عنه ـ يا سارية الجبل، فأسمعه الله الصوت ونجاه من الموت ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾.

دعاه صلاح الدين في حطين، فأنزل النصر المبين، وسحق أهل الصليب المارقين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

برز خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى الصعيد، فلقيه من الروم جيش عتيد، ذو بأس شديد، فدعى مولاه لا إله إلا إياه، ولا نعبد سواه فنصره، وهزم جيش الروم ودحره، وأحق الحق وأظهره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

في عين جالوت، كادت الرسالة تموت، فهتف قطز: واإسلاماه فهتفت الحناجر يا الله؛ فأعلى الله كلمته، ونصر دعوته، وهزم التتار، وأنزل عليهم صنوف الدمار، وللكافرين العار.

إذا جعت أطعمك، وإذا ظمئت أسقاك، وإذا مرضت شفاك، وإذا ابتلاك عافاك. ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ حقّق توحيده، خف وعيده، صدق أقواله، تدبر أفعاله، أكثر ذكره، أدِم شكره ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾.

الآيات البينات والبراهين الواضحات توجب على النفوس محبته وتعظيمه

أقرب ما تكون منه إذا سجدت، أسعد ما تكون إذا أخلصت، أشرح ما تكون إذا ذكرت، أرجى ما تكون إذا دعوت ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أوجد الماء أجاجاً وعذباً، خلق النار منفعة وعذاباً، أجرى الريح رخاء ودماراً، أنزل الحديد نفعاً وبأساً ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

الله: إبداع وإتقان وعظمة وإحكام، حكمة ونظام ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. قائم على كل نفس بما كسبت، مطلع على كل خافية ولو صغرت، عليم بكل كائنة ولو دقّت ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾.

الله: نتق الجبل، فجر الحجر، ظلل الغمام، فلق البحر، أنزل الحديد، أرسل الرياح، أنشأ البرق، شق القمر، قدح النار في الشجر﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

أولٌ لا شيء قبله، آخر لا شيء بعده، ظاهر لا شيء فوقه، باطن لا شيء دونه، غني لا يعدم، قوي لا يضعف، يدعى في الملمات، يُنادى للمهمات، يطلب في الخطب، يُسأل للكرب، كاشف الغمرات، مفرج المشكلات، قريب النوال، مجيب السؤال ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

من حاربه خذله، ومن نادَّه أذله، ومن نازعه أخزاه، ومن نسيه أشقاه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

من جاهد فيه هداه، ومن زاغ عنه أزاغ قلبه، من أتاه يمشي أتاه هرولة، من تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً.

من عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة، وما تقرب إليه أحد بأحب مما افترضه، ولا يزال عبده يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا سأله أعطاه، وإن استغاثه أغاثه ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يحذرون، ولا يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، لا يأخذ الأمم حتى يقيم عليهم الحجة، ولا يبطش بالمعرضين حتى يبين لهم المحجة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

ما من شيء إلا يسبح بحمده، كل حي يصمد إليه، كل مؤمن يتوكل عليه، كل كبير متعال حقير لديه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

تفقس البيضة فيخرج منها بقدرته طائر سميع بصير دليل على حكمة اللطيف الخبير، ورقة التوت تأكلها النحلة فتخرج عسلاً، والغزال فتخرج مسكاً، والدودة فتخرج حريراً.

تشرف الحية في الصحراء على الهلاك، وتكاد تتلف من الجوع، فتنصب نصف جسمها على الأرض يظنها الطائر عوداً فإذا هوى عليها التقمته ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

تدخر النملة قوتها في الصيف للشتاء فإذا خشيت أن تنبت كَسَرَتْهَا نِصْفَين ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

نقل أهل السير أن حية عمياء كانت في رأس نخلة فكان يأتيها عصفور برزقها فإذا اقترب من فمها صفر فتفتح فاها فيضع فيه الطعام ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

نثر النجوم، أضاء الكواكب، بلج الفجر، أسدل الظلام، أجرى الماء، سيّر الهواء، محا آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة.

في الصحراء نبات شائك لا يذبل وإن تأخر عنه الماء.

فى أغوار البحار أسماك تصلها هناك نسائم الهواء.

الحيوان في القطبين له لبد من الوبر تقيه شدة البرد.

حامض الثمر يُدافع بحموضته الحشرات.

النبات الشائك يذب بشوكه عن ثماره.

الثور يكافح عدوه بقرنيه، والصقر يفترس بأظفاره، لما صبر الجمل على الجوع والعطش، زوده خالقه بسنام ضخم يكتنز الشحم، لما ضعف الطائر عن جذب لقمته زوده بمنقار، ولما عجز العصفور عن الهرب علمه كيف يطير ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾.

غاير بين الحيوان: فمنهم من يذب عن نفسه بأسنانه أو بمخلبه ومنقاره، أو بقرنه أو بسمِّه، فإن ضعف عن هذا كله سهل له الإسراع، وقدره على الطيران، وعلمه الاختباء.

هو الذي دل الحمامة أن تنبي عشها، والحمرة أن تشيد وكرها، والعنكبوت أن تنسج بيتها، والنملة أن تهيء مسكنها، والضب أن يحفر جحره، والوحش أن يعمر كناسه، والأسد أن يبني عرينه ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي ﴾.

اذكر جلاله، تدبر كماله، شاهد أفعاله، اشكر أفضاله، أكثر سؤاله. ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾.

حي قيوم، قامت به السموات والأرض، وصلح به أمر الدنيا والآخرة، وأذعن له الرطب واليابس.

مقاليد الملك بيده، مقادير الأشياء عنده، مفاتيح الأمور لديه، مصير العباد إليه، جل اسمه، تقدَّس ذكره، سما قدره، عز شأنه، دام سلطانه.

العزة له جميعاً، الملك له كله، لا مانع لما أعطى، لا معطي لما منع، لا واضع لما رفع، لا رافع لما وضع، لا معز لمن أذل، لا مذل لمن أعز، لا مقدم لما أخّر، لا مؤخر لما قدَّم، لا ينفع ذا الجد منه الجد، له الحمد والمجد.

أولياؤه فائزون، عُبَّادُه مفلحون، جنده غالبون، رسله منصورون، أعداؤه مكبوتون.

المهدي من هداه، المكفي من كفاه، الفائز من تولاه، المخذول من عاداه ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

خَلْقُه حسن، صُنْعُه بديع، رحمته قريبة، شِرْعَته قويمة.

لمن تلهج الألسنة إذا لم تلهج بذكره، لمن تخفق القلوب إذا لم تخفق بشكره، لمن تعنو الوجوه إذا لم تَعنُ لوجهه، لمن تسجد الرؤوس إذا لم تسجد له.

لا تقل بالغت في أوصافه
فهو من قولك أعلى وأجل

هو مطلوب إذا طاغٍ عتا
وهو مقصود إذا خطب نزل

حاربه فرعون فغمس أنفه في الطين، عصاه قارون فخسف به والناس ينظرون، تطاول عليه النمرود ففجر دماغه فصار كالمجنون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.